لعلَّ مناط قول اللغويين بالتضاد بين دلالتي الرجاء والعلم، هو جوهر المعنى لا ظاهره فإذا قبلنا فكرة أن للمعنى عمقًا غير ما يظهر منه أو للفظ معنى ودلالة غير مباشرة تؤخذ من هذا المعنى فإننا نجد أن لفظ «الرجاء» ظاهر معناه هو الأمل والتمني، وحقيقة معناه هي الشك. والعلاقة بينهما هي أن تمنِّي الإنسان شيئًا يعني أنه لا يعرف هل سيحصل على هذا الشيء أم لا، ولكنه يريد أن يحصل عليه ويضاف إلى معنى «الإرادة» في التمني معنى «التوقع» في الرجاء.

فالقول بأننا نرجو شيئًا يتضمن إقرارًا بأننا لا نعرف هل سنناله أم لا، وعدم المعرفة هذا هو الشك.

ومن هنا ـ على ما يبدو ـ، اعتبر الرجاء ضدا للعلم، لا للعلم نفسه، الذي ضده (الجهل)، بل ضدا لمعنى اليقين الذي ينطوي عليه القول: «أنا أعلم».

فكأن التكوين الداخلي لمعنيي اللفظين هو المتضاد.

فإذا وجدت بعض سياقات لفظ الرجاء، متضمنة إشارات أو دلائل لغوية أو موضوعية تمكننا من تفسير الرجاء على معنى العلم اعتبر اللفظ من ألفاظ الأضداد، ليس لأنه يعني الأمل واليأس معًا بل لأنه ـ على حد التعبير القديم ـ يفيد معنيي الشك واليقين في سياقاته المختلفة.

هذا عمَّا دعا اللغويين إلى عد اللفظ من بين ألفاظ الأضداد، وهو أمر كما رأينا يتعلق بطبيعة النظرة إلى اللفظ، ودلالاته.

فماذا دعاهم إذن إلى اعتبار لفظ الرجاء بمعنى العلم في بعض سياقاته ؟ هذا ثاني الأسئلة التي يثيرها نص ابن الأنباري وهو أمر يتعلق بالتراكيب.

لقد أشار النص إلى دلالة الرجاء على العلم، مستندًا إلى شاهد قرآني واحد فقط، ودون الاستناد إلى شيء من كلام العرب شعرًا أو نثرًا، وإن تكن هذه الملاحظة دليلاً على شيء فإنما هي دليل على قلَّة المادة العلمية الموجودة في النص الذي بين أيدينا مما يصعب قراءتها قراءة مفصلة دون الاستعانة بمصادر لغوية أخرى، لكن المثير للانتباه هنا، هو وجود آية أخرى خالية من لفظ الرجاء وقد استعملت كدعامة لتفسير ابن الأنباري بشكل غير مباشر.

السؤال الثالث حول الدلالات التي يفترضها هذا النص للفظ الرجاء؛ هو العلاقة بين الرجاء والخوف، والخوف هو التفسير الذي رُدَّ به على من فسَّر اللفظ بالعلم، ثم